

تاريخ العرب والعالم (بيروت)، الحلقة الأولى: 169 (1997)؛ الحلقة الثانية، 170 (1997).

الإسلام والقضايا العربية في كتابات عالم الإسلاميات فريتز شتبات*

عبد الرؤوف سنو
الجامعة اللبنانية

يحتلّ الأستاذ الألمانيّ فريتز شتبات (Fritz Steppat) مكانة مرموقة ومميّزة بين علماء الإسلاميات المعاصرين. فخلال أكثر من نصف قرن من الاحتكاك المباشر مع الشرق الإسلاميّ، حضارة وعقيدة ومجتمعاً، استطاع أن يؤسس مدرسة متجدّدة ومعطاءة تعتمد الموضوعيّة والمقاييس العلميّة في رؤيتها لقضايا الشرق الإسلاميّ ومشكلاته، أو للعلاقات بينه وبين الغرب، وأن يخرج أجيالاً من علماء الإسلاميات أغنوا المكتبات بالوفير من دراساتهم القيّمة. ويدلّ نتاج شتبات العلميّ الأصيل على تجربة ميدانيّة واعية اتجهت إلى معرفة حركة الإنسان والمجتمعات الإسلاميّة في الشرق من جهة، وعلى رؤية علميّة نزيهة بعيدة عن التعصّب والانفعاليّة والأحكام المسبقة وإرث الماضي من جهة أخرى.

إن غرضنا من هذه الدراسة هو تعريف الدوائر العلميّة والثقافيّة العربيّة والإسلاميّة على عالم إسلاميات شكلت شخصيته الودودة وأبحاثه المحايدة ودراساته العديدة المميّزة صفحات ناصعة في تاريخ الدراسات الإسلاميّة والدراسات العربيّة، وجسراً للعلاقات بين الشرق والغرب. وقد تسهم مواقف المشرّفة تجاه العديد من القضايا الإسلاميّة والعربيّة التي سنتطرّق إليها في تعديل العديد من النظرة السلبية المطلقة تجاه دراسة الإسلام من جانب الشريك الآخر (الغرب)، واعتبارها أسلوباً استعماريّاً غريباً للسيطرة على الشرق الإسلاميّ وامتلاك السيادة عليه.

1- فريتز شتبات وأعماله

ولد عالم الإسلاميات فريتز شتبات عام 1923، وبعد حصوله على البكالوريا الألمانيّة (Abitur)، التحق بـ " كلية العلوم الأجنبيّة " (Auslandswissenschaftliche Fakultät) في جامعة برلين ونال شهادة الدكتوراه عام 1954.¹ تتلمذ على يد المستشرق فالتر براونه (Walter Braune)، الذي كان بدوره تلميذاً لكارل هاينريش بيكر (Carl Heinrich Becker). ما بين عاميّ 1954 و1959، عمل شتبات مديراً لمعهد غوتيه في القاهرة، وأشرف على بعثة أساتذة ألمان درّست اللغة الألمانيّة في معاهد مصر الرسميّة. وأتاحت له هذه الإقامة أن يتقن اللغة العربيّة وأن يدرس الحياة الاجتماعيّة - السياسيّة في مصر، ممّا ساعده على كتابة أطروحته الثانية (Habilschrift) عن تاريخ تطوّر التعليم الحديث في مصر، وكان ذلك في عام 1964.² وفي عام 1969، حصل على درجة الأستاذيّة من "جامعة برلين الحرّة" (Freie Universität Berlin)

وعُيّن أستاذاً للغة العربية والدراسات الإسلامية ثم مديراً لـ "معهد العلوم الإسلامية" (Institut für Islamwissenschaft) في الجامعة المذكورة. وبين عامي 1963 و1968، عاد شتبات مرّة أخرى إلى البلاد العربيّة ليرأس "المعهد الألمانيّ للأبحاث الشرقيّة" (Orient-Institut der Deutschen Morgenländischen Gesellschaft) في بيروت. وتمكّن خلال إقامته في لبنان من الاطلاع عن كثب على الأوضاع الاجتماعيّة والسياسيّة، ممّا راكم عنده المخزون الثقافيّ – العلميّ عن الشرق الإسلاميّ. وإلى جانب اللغة العربيّة، فهو يتقن الفارسيّة والعثمانيّة والتركيّة الحديثة، فضلاً عن اللغات الألمانيّة والإنكليزيّة والفرنسيّة.³

لقد أعطى الأستاذ شتبات دراسة الفترة الكلاسيكيّة الإسلاميّة وتاريخ البلدان الإسلاميّة في الماضي وتطوّرها في كلّ أطر الحياة عناية ملحوظة. بيد أن اهتماماته انصبّت على الفترة الحديثة، وعلى دراسة مجتمعات العالم الإسلاميّ، خارجاً بذلك، كأستاذه فالتر براونه، عن الإطار الكلاسيكيّ للإستشراق الألمانيّ، الذي كان لا يزال يركّز بعد الحرب العالميّة الثانية على الدراسات "غير السياسيّة" والفيلولوجيّة والتاريخيّة.⁴ وفي هذا السياق، جاءت موضوعات رسائله وأطروحاته الجامعيّة وأبحاثه.⁵

إنّ أول عمل علميّ قام شتبات بنشره كان مقالاً بعنوان "تغيّرات الاستقلال اللبنانيّ"، وذلك في عام 1944.⁶ وبين هذا التاريخ وعام 1996، أي خلال أكثر من نصف قرن من العمل العلميّ الرصين، أصدر أكثر من خمسة وستين مؤلفاً ودراسة نشرت في أكبر دور النشر والمجلات العلميّة سمعةً: حوالي 30 مؤلفاً ودراسة عن الإسلام عامّة، شملت موضوعات دينيّة واجتماعيّة وسياسيّة. أما باقي مؤلفاته، فعالجت قضايا تتعلق بمشكلات البلدان العربيّة وإيران وتركيا، وأزمة الشرق الأوسط والقضية الفلسطينيّة، والعلاقات العربيّة - الألمانيّة والعربيّة - الأوروبيّة. والجدير بالذكر، أنّ بعضاً من هذه الأعمال، السياسيّة منها بخاصّة، كُتبت في الخمسينات والستينات، وقد تحتاج إلى قراءة جديدة.⁸ كما قام شتبات بنقد أكثر من خمسين مؤلفاً علميّاً.⁹

إضافة إلى نشاطه العلميّ الواسع، شارك عالم الإسلاميات شتبات في هيئات علميّة عديدة، منها "جمعية المستشرقين الألمان" (Deutsche Morgenländische Gesellschaft) كعضو بارز فيها، وعمل رئيساً لـ "حلقة الشرق الأدنى الحديث في مؤسسة فولكسفاغن" (Vorsitzender des Arbeitskreises Moderner Vorderorient der Stiftung Volkswagen). وتقديراً لإنجازاته العلميّة ودوره الرائد في حقل الدراسات الإسلاميّة، أصدر الأستاذان الألمانيّان بابر يوهانزن (Baber Johansen) وأكسل هافمان (Axel Havemann) عام 1988 كتاباً تذكاريّاً بمناسبة بلوغه سنّ الخامسة والستين. وتبرز سمعة شتبات العلميّة من خلال مساهمات كبار المستشرقين وعلماء الإسلاميات وتلامذته في هذا العمل.¹⁰

2- شتبات: عالم الإسلاميات والمنهجية

يقول شتبات في دراسته "بدايات العصر الحديث في الشرق الأدنى" "... يجب علينا في العصر الذي أصبحنا ننظر فيه إلى العالم كوحدة، أن نعتبر تاريخ العالم وحدة أيضاً".¹¹ وانسجاماً مع مقولته هذه، يعمل العالم شتبات، منذ نصف قرن ونيّف ولا يزال، كيّ يكون وسيطاً ومفسراً بين الحضارتين المسيحيّة والإسلاميّة،¹² والتي يرفض أن يعتبرهما منفصلتين عن بعضها بعضاً، وذلك في سبيل إعطاء الغرب المسيحيّ، بعيداً عن إرث الماضي والتجربة التاريخيّة وأهواء المتلاعبين

بالتاريخ، صورة دقيقة واقعية عن شريكه القابع في الشرق، والذي ينتمي إلى عقيدة وحضارة مختلفتين. وهو يرى أنّ دخول أوروبا العصر الحديث لا يعني أن الشرق الإسلامي بقي يعيش عصوره الوسطى،¹³ أو أن الشريعة الإسلامية "جامدة وقاسية"¹⁴ (Starr und grausam). فالشرق الإسلامي، برأيه، عايش على الدوام تطورات وتغييرات. فيعتبر الحملة الفرنسية على مصر بداية لتاريخ المشرق الحديث، رغم إشكالاتها في أنها كانت حركة مدفوعة من الخارج، وأنّ المستشرقين لم يكن لهم دور فعّال فيها.¹⁵ كما يذكر نهضة مصر في عصر محمد علي، الذي كان هدفه إقامة دولة حديثة والفوز باستقلين اقتصادي وسياسي والحفاظ عليهما، لكن أوروبا حطمت مشروعه.¹⁶

يرفض شتبات أن ينظر عالم الإسلاميات إلى تاريخ الشرق الإسلامي من منطلق التمرکز الأوروبي أو الألماني على الذات، بلّ يرى أنّ عليه أن يضع الشرق في الصدارة ضمن حقل اختصاصه.¹⁷ وفي المقابل، يطالب العلماء في الشرق أن يدرسوا المسيحية الغربية وحضارتها لكي يدركوا مشكلاتها.¹⁸ وهو يقرّ بحدوث أخطاء جسيمة في التاريخ العالمي هنا وهناك، إلا أنه يرى ألا تتجه وظيفة عالم الإسلاميات نحو تحديد الذنب، بلّ معرفة البواعث والدوافع التي أدت إلى وقوع حدث ما،¹⁹ وربط العلة بالمعلول والنتائج بالأسباب. فلكي نفهم أسباب "الأحداث الآنية"، يقول شتبات: "علينا أن نبحث في تاريخها"²⁰. وهذه المنهجية تقود برأيه إلى البحث عن الحقيقة، الذي كان هاجسه طوال حياته. وتكمن أدوات هذه المهمة برأيه في معرفة لغات الشرق وثقافته، وحتى القديم منها، التي لا تزال تؤثر وبطرق متعدّدة في الحياة العصرية.²¹

لا يتوقف البحث عن الحقيقة عند شتبات على اكتساب المعارف عن الشرق من خلال آلاف الكتب والمخطوطات والوثائق عنه الموجودة في مكتبات الغرب، فضلاً عن متاحفه ودور المحفوظات. فيطالب بالتعرّف إليه وإلى مجتمعاته والاحتكاك المباشر مع حضارته الحيّة،²² وألا تقتصر معاينة عالم الإسلاميات للجوانب السياسيّة أو الدبلوماسية لتاريخ الشرق، بلّ أن تشمل اهتماماته واستطلاعاته النواحي الدينيّة والفكريّة والاجتماعيّة والاقتصاديّة.²³ كذلك، تتيح الاهتمامات الأدبية برأيه إمكانات واسعة لدراسة المشكلات الاجتماعية والدينيّة والتقاليد في المشرق الإسلامي. فمن خلال رواية "طواحين بيروت" لتوفيق يوسف عوّاد، على سبيل المثال، أطلّ شتبات على الطائفية المتجذّرة في المجتمع اللبناني وآخر إرهاباتها.²⁴ ومن خلال رواية "أولاد حارتنا" لنجيب محفوظ، تعرّف على تأثير الدين على الحياة المجتمعيّة، وعلى تطوّر الإسلام والعلمنة في المجتمع المصري.²⁵ أما "وثيقة عقد إجتماعي في مدينة فلسطينيّة 1854"، فكشفت له عن طبيعة الأعراف والتقاليد في المجتمعات البدويّة العربيّة القائمة على روابط الدم والثأر والديّة والمواثيق والعهود.²⁶

بالنسبة إلى شتبات، لا تتوقف منهجيّة دراسة الإسلام عند حدود الماضي. فهو يدعو إلى اقتحام القضايا الراهنة والخوض في السياسة من دون خوف، شرط "... ألا تتقدّم الغايات السياسيّة على البحث عن الحقيقة"، "لأنّ البحث عن الحقيقة يجب ألا يكون خاضعاً لأيّ هم آخر".²⁷ إذن، دراسة الإسلام، عند شتبات، هي فهم الماضي واستيعابه وامتلاك أدوات المعرفة (لغة، ثقافة، معرفة العادات والأعراف الخ...)، في سبيل إطلاقة ميدانية واعية مجردة على الحاضر تؤدّي إلى تأليف علمي يصبّ في خدمة الإنسانيّة. وهذا التأليف في نظره، "مثل تصفيف حجارة الفسيفساء بحيث تشكّل (جميعاً) صورة لعصر ما".²⁸

3- بداية الطريق

كما ذكرنا سابقاً، نال شتبات شهادة الدكتوراه عام 1954 عن أطروحته "القوميّة والإسلام عند مصطفى كامل". وحاول فيها أن يتقصّى موقع هذا الزعيم المصريّ من القوميّة والإسلام وتأثير كل منهما فيه، في جو المقاومة الوطنيّة المصريّة للاحتلال البريطانيّ وعجز الدولة العثمانيّة كـ "خلافة إسلاميّة" عن إنقاذ هذا البلد.²⁹ وفي رأي شتبات، إنّ الاتجاه القوميّ عند مصطفى كامل تقدّم على الاتجاه الإسلاميّ، على الرغم من أنّ الزعيم المصريّ لم يعلن صراحة عن موقف محدّد إزاء الاتجاهين وحاول ألا يرفضهما، بلّ أن يوفق بينهما.³⁰ ويضيف شتبات، إنّ الإسلام كان بالنسبة إلى مصطفى كامل عاملاً مساعداً ووسيلة سياسيّة لمشروعه الوطنيّ، أي تحرير مصر من الاحتلال البريطانيّ، فأضحى بذلك الدّين عنده بمثابة دين وطنيّ (Nationalreligion).³¹ ويعطي شتبات مثلاً على ذلك باستخدام كامل "الجامعة الإسلاميّة" أداة سياسيّة من خلال تسخير قوة السلطان العثمانيّ كخليفة للهدف القوميّ المصريّ.³²

إن ترجيح شتبات ميل مصطفى كامل إلى القوميّة وجعله الإسلام في المرتبة الثانية في أيديولوجيته لتحرير مصر، يتّضح من خلال العنوان الذي أطلقه على أطروحته وهو "القوميّة والإسلام" وليس "الإسلام والقوميّة" عند مصطفى كامل.

بعد هذه الانطلاقة الأكاديميّة التي جمعت ما بين الإسلام والقوميّة، بدأت رحلة شتبات مع الإسلاميات، والتي سوف تسلك طريقين متجانسين مكملين بعضهما بعضاً: الإسلام، وقضايا العرب القوميّة والمصريّة. كيف نظر هذا العالم إلى الإسلام، وما هي آراؤه في هذا الصدد، وما هو موقفه من قضايا العرب المعاصرة؟

4- شتبات والإسلام

لم يكن الشرق الإسلاميّ بالنسبة إلى شتبات عالم حضارة غريب، ولم ينظر إليه على أنّه هدف استعماريّ. كما لم يكن الشرق الإسلاميّ عنده عدواً يهدد الغرب المسيحيّ. لقد نظر هذا العالم إلى الشرق على أنّه جار كبير ومهمّ لأوروبا المسيحيّة، التي عليها أن تسعى إلى فهمه لكي تتعايش معه وتتعاون.³³ وهذا "الفهم"، لا يمكن الوصول إليه برأيه، إلا من خلال حوار هادئ يؤدّي إلى تلاقي عالميّ بين الإنسان المسلم في الشرق وشريكه الإنسان المسيحيّ في الغرب، وحدث تفاعل حضاريّ متبادل، حيث يوقّر الدينان السماويّان، المسيحيّة والإسلام، مقومات هذا الحوار – التلاقي.³⁴ يقول شتبات: "يجب ألا تنشأ لدينا تحت أي ظرف من الظروف صورة إسلام معادٍ، أو أن نستعيد من جديد صورة قديمة لإسلام معادٍ".³⁵ لذلك، ينتقد بشدّة من يعتبر نفسه خبيراً في شؤون الشرق ويتحدّث عن عداوة ألف عام بين المسيحيّة والإسلام.³⁶ ويضيف قائلاً: "إنّ الإسلام لا يهددنا ... على العكس، إنّ المسلمين يشعرون من جهتهم أنّهم مهدّدون وغير آمنين. صحيح "يتابع شتبات" إنّ شعوراً كهذا يمكن أن يؤدّي إلى العدوانيّة، لكن هذه العدوانيّة ليست في جوهر الإسلام".³⁷

لماذا يعتبر إذا شتبات أنّ المسلمين هم المهدّدون من قبل الغرب، وما هي هذه العدوانيّة التي يتحدّث عنها وما علاقتها بالحركة الأصوليّة الإسلاميّة؟

بفكر ليبراليّ وموضوعيّة، يحاول عالم الإسلاميات شتبات أن يدرس الحركة الأصوليّة الإسلاميّة. فلا يعتبرها ظاهرة نشأت عن الإسلام الأول، بلّ عن الوضع التاريخيّ الراهن والإحباط الذي أصاب المسلمين. يحدّد شتبات أسباباً خارجيّة وأخرى داخلية للإحباط الإسلاميّ. أما الأسباب الخارجيّة، فتعود برأيه إلى التجربة التاريخيّة للمسلمين مع الاستعمار، ودعم الغرب لأنظمة حكم إسلاميّة متّجهة لتمثيل مصالحه،³⁸ فضلاً عن تبعيّة البلدان العربيّة لـ "النظام العالميّ الظالم" (Ungerechte Weltordnung)³⁹، على رغم الاستقلال الذي تحقّق عقب الحرب العالميّة الثانيّة.⁴⁰ وبرأيه، فإن طروحات الغرب حول العدالة والديمقراطيّة وحقّ تقرير المصير، تتجسّد متناقضة على أرض الواقع: هيمنة وإشباع مصالح. ويعطي على ذلك مثلاً صارخاً: قضية فلسطين وحرب الخليج الثانيّة، حيث لا تُطبّق قرارات الأمم المتّحدة على إسرائيل، ويتمّ السكوت عن استيلائها على الأراضي العربيّة، بينما تتصافر قوى الغرب لإخراج العراق من الكويت.⁴¹ أما الأسباب الداخليّة، فيحدّدها تحت عنوان عريض "عدم كفاية التنمية الاجتماعيّة - الاقتصاديّة"، واستياء الشعوب العربيّة من الحكومات والأنظمة الحاكمة وغياب الديمقراطيّة، وأخيراً خيبة الأمل من الفشل في تحقيق حلّ للمشكلات الاجتماعيّة والاقتصاديّة من خلال "موديلات" القوميّة والليبراليّة والاشتراكيّة، التي اعتبرها المسلمون "مستوردات أجنبيّة".⁴²

هذا الإحباط، كما يراه شتبات، هو الذي جعل المسلمين "يعودون" إلى دينهم لتلمّس الخلاص، معتقدين أنّ ما أصابهم من تخلف وتمزّق كان نتيجة خروجهم عن الصراط المستقيم.⁴³ فبدأوا ينظرون إلى ماضيهم متسائلين عن القوّة التي يمكنها أن تكون سندا لهم.⁴⁴ وهكذا، يضيف شتبات، بدأ عند الشعوب العربيّة وعي من الداخل يرتكز على الإسلام، الذي ظهر عنصر هويّة في السنوات الأخيرة.⁴⁵ فنشأت حركات إسلاميّة تحت مصطلحات السلفيّة وإعادة نشر الدعوة الإسلاميّة وتجديد الإسلام.⁴⁶ وأصبح هناك مسلمون يتحدّثون عن الإسلام كرمز هويّة، وآخرون يقومون بواجباتهم الدينيّة ويتقبّلون العلمنة في الوقت نفسه، وفئة ثالثة تريد أن تطبع الحياتين السياسيّة والاجتماعيّة بطابع الإسلام، وأن تستخدم لأجل ذلك كلّ الوسائل من الوعظ إلى السيف، وهي متّجهة لإسقاط الحكومات والأنظمة العربيّة.⁴⁷

وبعدما نشر محمد عمارة دراسته الشهيرة عام 1990 حول "الحوار بين الإسلاميين والعلمانيين"⁴⁸، أي بين جماعتين محدّتين من الإسلاميين والعلمانيين، وهما "جماعة الاجتهاد والتجديد لحضارة الإسلام" و"جماعة دعاة فصل الدّين عن الدولة من العلمانيين الوطنيين والقوميين"، مستنثياً من ذلك عمداً جماعات إسلاميّة وعلمانيّة أخرى⁴⁹، رحّب شتبات بجماعة "الاجتهاد والتجديد" التي رآها تبحث عن هويّة في الإسلام، وتريد فتح حوار مع العلمانيين أصحاب الاتجاهات الثقافيّة الغربيّة، بمعنى الإبقاء على الحضارة الإسلاميّة واكتساب ما هو مفيد من العلمانيين (= ثقافة الغرب وقيمه).⁵⁰ واعتبر شتبات أنّ هذه الجماعة الإسلاميّة تحمل أفكاراً عقلانيّة بعيدة عن ضيق الأفق والجمود والتعصّب⁵¹، وإنّ ما يقال اليوم عن الإسلام بمعنى التخلف، فهو إسلام مزور وعلى المرء أن يسعى إلى الإسلام الصحيح الذي يودّي إلى الشفاء والتقدّم.⁵² وهو يطالب الغرب أن يتفهّم دوافع الحركة الأصوليّة الإسلاميّة⁵³، وأن يضع نصب عينيه أنّ الإسلام لا يقف عائناً في وجه السلام العالميّ في الوقت الراهن نتيجة نمو الحركة الأصوليّة.⁵⁴

إنّ تأكيد الأستاذ شتبات على الاتجاهات السلميّة للإسلام، يبرز بوضوح من خلال رفضه نظريّة الأستاذ الأميركيّ صموئيل هنتنغتون (Samuel Huntington)، الذي اعتبر في دراسة له "صدام الحضارات" (The Clash of Zivilizations) أنّ المصدر الأساسي للصراع في العالم

الجديد لن يكون في الدرجة الأولى أيديولوجياً ولا اقتصادياً، بلّ حضارياً، حيث يكون الدين العامل الأهم في اختلاف الحضارات.⁵⁵ ويرأي شتبات، إنّ هذه النظرية خطيرة، حيث تضع الإسلام في مواجهة المسيحية، بعدما أصبح الإسلام بنظر بعضهم خطراً على العالم الحرّ بعد سقوط الاتحاد السوفياتي وانحسار الشيوعية.⁵⁶ "هناك فئات من الناس"، يقول شتبات "تشعر وبكلّ بساطة بالحاجة إلى مواجهة خطر داهم أو عدو متربّص، فإذا لم تعد هناك قوى شيوعية، فإن الإسلام يأتي كبديل في متناول اليد".⁵⁷ إنّ شتبات يرفض النظرية التي تقوم على فكرة تصادم الحضارات كمصدر جديد للصراع في العالم وتغليب دور الدين كمحرك للاختلافات في صراع التكتلات في عالم اليوم، ويعتبر أنّ هذا يقود إلى نتائج وخيمة، حيث يُصور الإسلام على أنّه العدو الأول للمسيحية. يقول: "هذا تفكير خطأ، إذ لا الإسلام ولا المسيحية يطمحان إلى الحرب". فيدعو إلى حوار بين الدينين من منطلق أنّ أيّاً منهما لا يريد أن يدمّر الآخر، وأنّ مثل هذه الحوار ممكن ومفيد للاثنين.⁵⁸

ويحدّر شتبات في الوقت نفسه الغرب من أنّ الحديث عن "الخطر الإسلامي" سوف يؤدي إلى نتائج وخيمة ثلاث⁵⁹:

- 1- منع تقصي الأسباب الحقيقية لنشوء الحركات الأصولية، وبالتالي إزالة تلك الأسباب،
- 2- تغذية الحقد ضد الأجانب من المسلمين والعرب في المجتمعات الغربية نتيجة تشويه صورة الإسلام،
- 3- دفع المسلمين إلى مزيد من "التعصّب" كردّ فعل على نظرية "الخطر الإسلامي"، ممّا يعزز مقولة وجوب التصدي للإسلام وتدميره.

إن موقف شتبات الداعي إلى فهم الإسلام والتعاطي معه من منطلقات انفتاح وحوار واحترام، كان وراء مقالته في صحيفة (Berliner Morgenpost) في أيلول عام 1995، عندما ردّ بعنف على الحملة الواسعة التي تعرّضت لها عالمة الإسلاميات الألمانية أنماري شيميل (Annemarie Schimmel) نتيجة تصديها لرواية سلمان رشدي المعروفة التي تحقّر أقدس أنبياء المسلمين. قال شتبات: "إنّي أعتبر موقف شيميل من رشدي محقّ. إنّ مهمة عالم الإسلاميات أن يقول للرأي العام الغربيّ بأنّ إهانة الرسول هي مسألة خطيرة لكل مسلم. عندما يجعل المرء النبي سخريّة ويصف زوجات محمد بالعاشرات، فإنّ هذه المسألة تمس الأسس المبدئية للإسلام".⁶⁰

لا يكتفي شتبات بالطلب إلى الغرب أن يتفهّم الإسلام المعاصر ومشكلاته، بلّ يدعو المسلمين الذين يعيشون في ألمانيا (المقصود هنا أوروبا أيضاً) إلى توحيد أنفسهم وتشكيل منظمة عالميّة تضمّ مسلميّ الدول العربيّة والأتراك والإيرانيين والأكراد والألمان المسلمين. ويرى أنّ هذا سوف يقوّي من وضعهم في المجتمع الألمانيّ (الأوروبيّ) ويجعل من "منظمتهم" ممثلاً شرعيّاً لهم تجاه الدولة والمجتمع في ألمانيا وغيرها من الدول الأوروبيّة. ويعترف أنّ إنشاء مثل هذه المنظمة هي مسألة تخصّ المسلمين أنفسهم وتواجه صعوبات جمة بسبب الخصوصيات القوميّة والحواجر اللغويّة بينهم، إلا أنّه يعتقد مع ذلك أنّ عالميّة الإسلام تجعل تحقيق هذه المنظمة ليس مستحيلاً. ولا يعتبر شتبات اقتراحه هذا تدخلاً في شؤون المسلمين أو دعوة "لألمنة" أو "أوربة" المنظمة الإسلاميّة المنشودة، لأنّ هذا الاقتراح يأتي، كما يقول "من صديق غير مسلم". أخيراً، يعتقد شتبات أنّ هناك شرطين يجب أن يتوافرا في المنظمة المنشودة، وهما أن تكون عالميّة تضمّ مختلف "القوميّات" الإسلاميّة في ألمانيا (أوروبا)، وتعتمد التسامح تجاه الداخل (= القوميّات الإسلاميّة المختلفة) وتجاه الخارج (= المجتمع الألمانيّ أو الأوروبيّ).⁶¹

لا تتوقف دراسات شتبات عند الحركات الأصولية الإسلامية، ولا المواقف الغربية منها، بل يغوص في دراسة جوانب أخرى من التاريخ الإسلامي الوسيط تتعلق بتنظيم الخليفة عمر بن الخطاب لأوضاع "أهل الذمة"، ومسائل فقهية حول علاقة الإنسان المسلم بخالقه، وأهمية الإيمان لدخول الجنة، وعلاقة المسلم بالسلطة وتطورها، ومسألة من أمن في عصر الرسول ولم يقدم على الهجرة. وفي دراسته هذه، ينطلق شتبات من "أن الإسلام دين يدخل في كل مجالات الحياة الإنسانية، وليس الحياتين الاجتماعيتين والسياسية فحسب، وإن إدعاء (هذه) الكلية للدين (الإسلامي) لا تزال حتى اليوم معلماً جوهرياً للإسلام"⁶².

وفي دراسته "عمر الأول"، عالج شتبات سياسة الخليفة عمر بن الخطاب في إبعاد أهل الذمة من اليهود والمسيحيين عن الجزيرة العربية إلى سورية والعراق وخلفياتها في إطار وحدة دينية - سياسية للجزيرة العربية كضرورة حتمية للوجود الإسلامي فيها، وذلك بشكل مخالف للسياسة التي سار عليها الرسول، وهي إبقاؤهم في المنطقة. ويضيف شتبات، إنه خلال خلافة عمر، كان هناك تفريق بين الإسلام والعروبة، وهذا ما جعل الدولة الإسلامية تحصل الجزية من المسيحيين، وفي بعض الأحيان تحت أسم آخر، كما في حالة بنو تغلب. ثم يعالج مسألة "الشروط العمرية" وكتب الأمان التي منحتها الدولة الإسلامية إلى الزعماء الدينيين للجماعات غير الإسلامية. فيبرز مضامين هذه "الكتب"، التي وقّرت بموجبها الدولة الإسلامية الحماية للجماعات غير الإسلامية مقابل ولاءها لها ودفعها الجزية.⁶³

وفي دراسته "خليفة الله"⁶⁴، يتناول العالم شتبات علاقة المسلم بخالقه ومرتبته عنده، من خلال جعل الإنسان خليفة له في الأرض. وعلى الرغم من أنه يرى عدم وجود نص قرآني صريح حول هذه المسألة، إلا أنه يناقش تفسيرات الفقهاء المسلمين للآيتين الكريمتين: "إني جاعل في الأرض خليفة" (سورة 2:30) و "خلانف الأرض" (سورة 6:165)، مشيراً إلى أن بعض الخلفاء الأمويين أطلقوا على أنفسهم لقب "خليفة الله".⁶⁵ فيذكر التأويل الذي ينقله الطبري بأن الله عين خليفة له في الأرض للحكم بين خلقه⁶⁶، وتفسيرات البيضاوي، ومنها أن خليفة الله في الأرض هم الأنبياء كوسطاء بينه وبين الناس، بحيث يحتل آدم هذه المرتبة، أو أن المقصود بـ "خلانف الأرض" المخولون التصرف فيها (خلفاء الله في الأرض يتصرفون فيها).⁶⁷ كما يشير شتبات إلى تفسير الغزالي عن "مناسبة باطنية" بين الإنسان وخالقه، وأن الله عين آدم خليفة له في الأرض.⁶⁸ ويتطرق إلى تفسير المراغي حول أن خليفة الله هو الشخص الذي يتمتع بسلطة غير مقيدة تقوم على المعرفة للتصرف بكل الخلق⁶⁹، وإلى تفسيرات محمد إقبال وعلي شريعتي بأن المقصود بخليفة الله "الأمانة" التي سلمها الله إلى الإنسان⁷⁰ وإلى ما ذكره المودودي بأن "خليفة الله" هي الأمة التي تختار خليفته في شخص تضع ثقته فيه.⁷¹

أخيراً، يرى شتبات أن هناك ما يجمع بين التفسيرات المتعددة، وهو احتلال الإنسان عند خالقه مركزاً متفوقاً على كل المخلوقات.⁷²

يعطي شتبات أهمية كبيرة لدراسة آراء المفكرين المسلمين المعاصرين من مسألة قديمة دار الجدل حولها منذ العصر الإسلامي المبكر، وهي الأيمان والعمل، ومن منهما يوصل المسلم إلى الجنة، ومن يتقدم منهما على الآخر، وكذلك مسألة التكفير.⁷³ فيذكر عدة آراء معاصرة تؤيد نظرية تغليب الأيمان على الأعمال (نعيم ياسين والبننا)، والنظرية المعاكسة التي تجعل الأعمال تتقدم على الأيمان (الغزالي).⁷⁴ ثم يتطرق إلى مسألة التكفير ورأي ياسين في هذا الصدد بفرض عقوبة الإعدام

على من يكفر، وموقف الشيخ محمد شلتوت بأنّ الكافر "لا تجري عليه أحكام المسلمين"، وأنّ الكفر يقطع كل علاقة للكافر مع أمته الإسلامية.⁷⁶ كما يذكر مواقف هؤلاء المفكرين المسلمين المعاصرين من "أهل الذمة" وموضع هؤلاء من الكفر. فيذكر أنّ ياسين يعتبر "أهل الذمة" كفرًا، بينما يضعهم محمد شامه في مراتب ودرجات في الكفر والعقاب، تبعاً لما يقدّمه الذميّ من منفعة إلى المجتمع الإسلاميّ.⁷⁶ أمّا بالنسبة إلى حبنكة وشلنتوت، فيرى أنّهما لا يطلقان صفة الكفر على أهل الذمة. ويختم شتبات دراسته هذه بأنّ كلّ الآراء التي تطرّق إليها تؤكد على أنّ إيمان المسلم يضمن له الرحمة الأبدية (الجنة).⁷⁷

لا تتوقف متابعات الأستاذ شتبات للتاريخ الإسلاميّ عند حدود هذه المسائل الشرعيّة والفقهية، بلّ يعالج علاقة المسلم بالسلطة في دراستين متممتين بعضهما بعضاً⁷⁸، منطلقاً من أنّ لا فصل للدولة عن الدين في الإسلام، مستشهداً بقول الغزالي: "إنّ سلطة الدولة ضرورية لانّظام الدنيا، ونظام الدنيا ضروريّ لانّظام الدين ونظام الدين ضروريّ لتحقيق السعادة في الآخرة"⁷⁹. ويشير إلى آيات قرآنية كريمة تشدّد على ضرورة إطاعة المسلم "أوليّ الأمر"، وإلى أنّ الحديث الشريف اعتبر طاعة السلطان من طاعة الله، مقابل أن تراقب الجماعة السلطة (ال خليفة) وأنّ تُصلح من الأخطاء التي قد تقع فيها.⁸⁰ لكنّ مثال الدولة الدينيّ هذا، لم ينسجم برأيه على أرض الواقع مع الصراعات السياسيّة التي أدّت إلى ظهور طروحات ترفض السلطة الظالمة وتدعو إلى محاربتها، وطروحات تدعو إلى الإرجاء (إطاعة الحكم واجبة حتى ولو ارتكب خطايا مميتة)، وأخرى توفيقية رفعت شعار "سلطان ظالم خير من فتنة تدوم".⁸¹

ولا يكتفي شتبات بالإشارة إلى تلك الطروحات، بلّ يتطرّق إلى الموقف الفقهيّ منها (الموردي، أبو يعلى، البغدادي وابن حزم)، الذي حاول تبرير ضعف الخلافة الإسلاميّة ثمّ تعدّدها وظهور الإمارات المستقلة منذ عصر الانحطاط الإسلاميّ (أواخر العصر العباسي) وسقوط السلطة الفعلية بأيدي البويهيين الشيعة.⁸² ثمّ يعالج على التوالي تبريريّ الغزالي وابن جماعة لخضوع الخلافة العباسية للسيطرة السلجوقية، وتحول الخلافة العباسية في القاهرة إلى منصب واهٍ على أيدي المماليك.⁸³

خلاصة القول، يرى الأستاذ شتبات أنّ الفقهاء المسلمين السنة أفرغوا مفهوم الخلافة الأساسي من مضمونه، ممّا جعل الاستغناء عنه أمراً مقبولاً، وكذلك الحفاظ على الشريعة بواسطة حكّام زمنيّين. ويستنتج، أنّ الصراعات الدمويّة في تاريخ الإسلام المبكر جعلت المفكرين والفقهاء المسلمين يسعون إلى نوع من "التقيّة" تقوم على وجوب إطاعة السلطة من دون السؤال عن شرعيّة الحكم⁸⁴، وإنّ هذا الموقف بقي على حاله عموماً محافظاً على مدلولاته حتى يومنا هذا. ويعطي مثلاً على ذلك، ولاء مسلمي بلاد الشام في القرن التاسع عشر لـ "الخلافة العثمانيّة".⁸⁵ ويرى أنّ الخطر الأجنبيّ ونموه هو الذي دفع المسلمين إلى التمسك بالدولة العثمانيّة، رغم أنّها كانت تؤدّي واجبها بحده الأدنى.⁸⁶

أما دراسة "البدو كجماعة مهمّشة في المجتمع الإسلامي"⁸⁷، فهي بدورها دراسة رصينة معمّقة في نصوص القرآن والحديث والتفسير. فيتحدّث شتبات فيها عن ظروف قيام الأمة الإسلاميّة بتأخي المهاجرين والأنصار. ثمّ يذكر جماعة ثالثة من المسلمين، وهم الأعراب الذين أشار إليهم القرآن الكريم بـ "الذين آمنوا ولم يهاجروا" (سورة 8، 72). فيتعرّض لإشكاليّة حقوق هؤلاء من المغنم والفيء والصدقة، على رغم عدم مشاركتهم في الهجرة أو في قتال المشركين. فيتطرّق إلى

تطوّر التفسيرات وأراء المذاهب من هذه المسألة مع انتشار الإسلام وحلول الجهاد محلّ الهجرة (بعد عام 630 م) وبقاء البدو (الأعراب) رغم ذلك على هامش المجتمع الإسلاميّ بتمركز السلطة في المدن.⁸⁸

5- شتبات وقضايا العرب المصيريّة

- شتبات والقوميّة العربيّة

يرى العالم شتبات أنّ "اليقظة القوميّة" تدخل ضمن مقوّمات تكوين العرب الحديث،⁸⁹ وأنها نشأت كحركة تاريخيّة ضروريّة تجاه الخارج (تفوق الغرب سياسياً وإقتصاديّاً) وتجاه الداخل (ضد النظام التقليديّ).⁹⁰ ويعتقد أنّ هذه اليقظة نشأت أولاً في مصر على شكل ثقافة تقوم على اللغة والتاريخ تغدّت من الصراع ضدّ الاحتلال البريطانيّ لمصر، حيث وقرت حركة عرابي باشا أسساً "لوعيّ قوميّ" مصريّ استمرّ إلى ما بعد الحرب العالميّة الأولى.⁹¹

وعلى عكس ذلك، يرى شتبات أنّ الدّين (الإسلام) قد تقدم على "العروبة" في ولايات السلطنة العثمانيّة في بلاد الشام والعراق بفعل تأثير "الجامعة الإسلاميّة"، وأنّ ظهور القوميّة التركيّة في مطلع القرن العشرين وتشجيع "الاتحاد والترقي" للحركة الصهيونيّة، كانا عاملين حاسمين في نشوء القوميّة العربيّة في سورية⁹²، التي عبّرت عن نفسها - رغم عدم وجود قيادة موحّدة لها - من خلال الجمعيات الإصلاحية والأحزاب ونوادي الضباط والمنظمات السريّة⁹³. ومع ذلك، يرى أنّ إرهابات هذه اليقظة القوميّة تعود إلى المرحلة التي أعقبت الحرب الطائفيّة - الاجتماعيّة في بلاد الشام عام 1860⁹⁴، وذلك من خلال الجمعيات الأدبيّة والعلميّة التي شارك فيها المسلمون، وحركتيّ الأعيان المسلمين (1877) و"جمعيّة بيروت السريّة" (1876-1880) لإنشاء "وطن سوريّ"، ومشروع يوسف كرم لإنشاء كونفدراليّة سوريّة.⁹⁵ ويعتقد أنّ المسيحيين السوريين هم الذين دعموا أساساً الاتجاهات القوميّة العربيّة للتخلص من وضع الأقلّيّة الدينيّة، فكان مشروع نجيب عازوري لإنشاء دولة عربيّة في المشرق (بلاد الشام والعراق)، وأخرى إسلاميّة (خلافة) في الحجاز⁹⁶. ويضيف، إنّ بريطانيا وظّفت المشاعر القوميّة العربيّة وتلاعبت بها في سبيل تحقيق مآربها لسلخ العرب عن العثمانيين، وإنّ مراسلاتها مع الشريف حسين (مراسلات حسين - مكماهون) حملت معاني غامضة، بحيث اعتقد الشريف حسين أنّها تؤيّد أيضاً استقلال فلسطين.⁹⁷

ورغم إخفاق أول مشروع دولة عربيّة موحّدة في المشرق عام 1920 (الحكومة العربيّة في دمشق)، يعتقد شتبات أنّ هناك مقوّمات تصلح لتوحيد العرب، وفي مقدمها قوّة الإسلام وعالميّته التي جعلت كلّ بلد عربيّ يتطلّع، رغم خصوصياته، إلى خارج حدوده الوطنيّة، إضافة إلى اللغة والانتماء المشترك والمصير المشترك.⁹⁸ كما يرى أنّ مسألة فلسطين والرغبة في التحرّر من الانتداب الأجنبيّ، كانا عاملين مهمّين في زيادة الوعي القوميّ العربيّ، إذ شهدت الثلاثينات من القرن العشرين حركة قوميّة عربيّة اتّجهت نحو مقاومة مشروع صهيونة فلسطين⁹⁹ والتخلّص من الحكم الأجنبيّ. وحول العلاقة بين تهويد فلسطين ونمو الوعي القوميّ (الفلسطينيّ) يقول شتبات: "إنّ الشعور بالكتب أدى نفسياً دوراً عظيماً، حيث مهدّ الأرضيّة لانتشار القوميّة العربيّة بين سكّان الأرياف".¹⁰⁰

يسلط شتبات الضوء على تطلع القوميّين العرب، خلال الثلاثينات وأثناء الحرب العالميّة الثانية، إلى ألمانيا الهتلريّة على أمل أن تدعمهم ضد بريطانيا والحركة الصهيونيّة في سبيل تحقيق أمانيهم القوميّة. فيرى أنّ هؤلاء أصيبوا بخيبة أمل، لأنّ ألمانيا لم تبلور حينذاك سياسة عربيّة واضحة، ولم تقابل تطّعاتهم القوميّة لاعتبارات عنصريّة وغياب إستراتيجيّة لها في البحر المتوسط وفي الشرق الأدنى، حيث نظرت إليهما على أنّهما من مناطق نفوذ إيطاليّة.¹⁰¹ وحتى تصريح الخارجية الألمانيّة في 28 نيسان 1942، الذي أعلن عن استعداد ألمانيا لدعم نضال العرب الخاضعين للانداب البريطانيّ وسيادتهم ووحدتهم، ورفض كيان صهيونيّ في فلسطين، بقي - برأي شتبات - حبراً على ورق، وترجم تقريباً هشاً من الحركة القوميّة العربيّة.¹⁰²

وبعد الحرب العالميّة الثانية، أدركت بريطانيا، كما يذكر شتبات، تطّعات العرب القوميّة والوحدويّة. فعملت على امتصاص هذه المشاعر بتشجيع إنشاء "جامعة الدول العربيّة"، ولكيّ تتمكن كذلك من ممارسة نفوذها على الدول العربيّة الحديثة الاستقلال.¹⁰³ ويعتقد أنّه رغم حسنات "جامعة الدول العربيّة" هنا وهناك، إلا أنّ إنشاءها لم يمنع استمرار الاتجاهات الوحدويّة لدى الشعوب العربيّة. وجاء التعبير عن ذلك من خلال ما جاء في الدستور السوريّ لعام 1950، من أنّ الشعوب العربيّة هي جزء من الأمتّة العربيّة¹⁰⁴، وكذلك الدستور المصريّ لعام 1956 من أنّ الشعب المصريّ ينتمي إلى الأمتّة العربيّة.¹⁰⁵ وبين الفترة الممتدّة ما بين نهاية الحرب العالميّة الثانية ومطلع الستينات، رأى شتبات حدوث محاولات عديدة للتقارب أو الوحدة العربيّة في العالم العربيّ، من دون أن تؤدّي إلى نتائج ملموسة.¹⁰⁶ ومع ذلك، يبرز الوحدة المصريّة - السوريّة (1958-1961)، ويقول أنّ فشلها كان أسوأ في ما لو لم تجر المحاولة من أساسها. ويعتبر من جهة أخرى، أنّ المحاولة تلك قوّت الثقة لدى العرب واعتزازهم بأنفسهم.¹⁰⁷ لكنه ينبّه العرب إلى " أنّ التضامن القوميّ أو الوحدة سوف يجعل منهم قوّة كبيرة أكثر منهم دولاً متفرقة"، ويمكن الدول العربيّة الفقيرة من الاستفادة من ثروة النفط¹⁰⁸. كما يحذّرهم في الوقت نفسه من مخاطر الطانفيّة على أنظمتهم ومجتمعاتهم، ويطالب بسياسة دمج وانصهار اجتماعيين كيّ لا يرتدّ الناس إلى طوائفهم.¹⁰⁹

إن أبرز ما عالجه عالم الإسلاميات شتبات من قضايا العرب المصيريّة، يندرج تحت عناوين ثلاثة، وهي: القضية الفلسطينيّة والثورة المصريّة والصراع العربيّ - الإسرائيليّ.

- القضية الفلسطينيّة

يرى شتبات أنّ "المسألة اليهوديّة" هي محض أوروبيّة، ولم تكن مسألة إسلاميّة على الإطلاق.¹¹⁰ فبعد طرد اليهود من أسبانيا في نهاية القرن الخامس عشر، وصل العديد منهم إلى البلاد الإسلاميّة ومنها فلسطين.¹¹¹ ويعتقد أنّ اللاسامية ظهرت في المجتمعات الأوروبيّة مع نمو الحركات القوميّة والشعبيّة، على الرغم من قوانين التحرّر التي مُنحت إلى اليهود.¹¹² كما يرى أنّ اضطهاد اليهود في أوروبا، ثم على يد هتلر وعدم دمجهم أو اندماجهم في المجتمعات الأوروبيّة، هو الذي ساعد على بزوغ "قوميّة يهوديّة" كان الدّين العامل المحرّك لها. ويقرّ شتبات بحق اليهود في وطن قوميّ، إلا أنّه يفضّل لو نجحت فكرة دمجهم في المجتمع الأوروبيّ، لكان هذا أفضل لهم وللعالم.¹¹³ ويرى أنّ إصرارهم على وطن قوميّ لا يسوّغ اختيارهم فلسطين، التي سكنها شعب عربيّ منذ ألف عام،¹¹⁴ فيقول: "كان عليهم (اليهود) أن يفتشوا عن أرض خالية في أي مكان من

العالم، حيث لا يواجهون مقاومة"، لكنه يعود ويستدرك قائلاً: "إنّ القومية ليست عقلانية على الدوام".¹¹⁵

يرى شتبات أنّ الدولة العثمانية ظلت حتى الحرب العالمية الأولى ترفض فتح أبواب فلسطين أمام اليهود خشية من أن يؤدي إضافة طائفة دينية جديدة الى المجتمع الفلسطيني إلى زيادة مصاعب حكمها هناك.¹¹⁶ وبالنسبة إلى الفلسطينيين، يعتقد أنّ أسباباً اجتماعية وإقتصادية جعلتهم "يكروهون" اليهود، وهي إخلال هؤلاء بالنظام القديم، وانتهاكهم للعادات المحلية واستفزازهم للسكان، وأخيراً استحوادهم على الأراضي وطرد الفلاحين الفلسطينيين منها.¹¹⁷ وهو يناقض الأدبيات الصهيونية التي تنفي عن الشعب الفلسطيني مقاومته للحركة الصهيونية، ويرى أنّه كانت هناك مقاومة عربية في فترة ما قبل الحرب العالمية الأولى تمثلت بالريف والمدن الفلسطينية. فيعطي مثلاً على إدراك العرب للخطر الصهيوني بتوقيع نجيب عازوري في كتابه "يقظة الأمة العربية..". حصول صدام بين القومية العربية والقومية الصهيونية،¹¹⁸ والتحذيرات التي أطلقتها الصحافة العربية بعد ثورة "تركيا الفتاة" في عام 1908، وكذلك لفت النواب العرب الانتباه في البرلمان العثماني إلى الخطر الصهيوني على فلسطين.¹¹⁹

وبعد أن يعدّد الأسباب التي دفعت بريطانيا إلى إصدار "وعد بلفور" عام 1917، ومنها الإستراتيجي لتأمين حماية قناة السويس من خلال إقامة كيان حليف لها على مقربة من هذا الممرّ المائي الحيوي، يتطرّق شتبات إلى السبب "الأخلاقي" الذي جعل بريطانيا تعمل على إنشاء دولة يهودية، وذلك لتصحيح "خطأ" أوروبيّ تجاه اليهود. فينتقد بمرارة تلك "الأخلاقية" الزائفة ويقول: "كيف يمكن لقرار ... هدفه إصلاح خطأ تجاه اليهود أن يتجاهل الحقيقة بأنّه من خلال محاولة ... الإصلاح هذه، تم ارتكاب خطأ جديداً ضدّ الآخرين".¹²⁰ ويضيف "إنّ العالم انتزع من عالمهم (العرب) قطعة أرض لأجل حلّ مشكلة لا علاقة لهم بنشونها".¹²¹

ويؤكد شتبات أنّ بريطانيا ظلت، حتى بعد إصدار "وعد بلفور"، تصرّ على هذا "الخطأ". فيقتبس تصريحاً لبلفور صدر في آب 1919، أي بعد سنة ونصف السنة على تصريحه الأول الشهير، جاء فيه: "إنّ الصهيونية سواء أكانت صواباً أم خطأ، خيرة أم شريرة هي... لضرورات آنية وتوقعات مستقبلية أبعد شأناً وأهمية من رغبات 700 ألف عربيّ... الذين يسكنون البلد (فلسطين) حالياً".¹²² ويستنتج شتبات بأنّ هذا التصريح كان دعوة أخرى لاستمرار "الخطأ" تجاه العرب لأجل إعطاء اليهود "العدالة".¹²³

وبموضوعية مجردة، لا يغفل العالم الألمانيّ شتبات دور ألمانيا (جمهورية فايمر) في تشجيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين لأسباب تجارية.¹²⁴ ويتطرّق إلى موقف سياسيّ لها تنفي فيه على العرب حقهم في فلسطين لعدم مساهمتهم في تنميتها وافتقارهم إلى النضج السياسيّ لحكم أنفسهم بأنفسهم.¹²⁵ كما يركّز على سياسة هتلر في تشجيع الهجرة اليهودية إلى فلسطين (Haavara- Abkommen 1933)،¹²⁶ رغم تحذيرات وزارة الخارجية الألمانية إلى هتلر بأنّ كياناً يهودياً في فلسطين سوف يكون قاعدة شرعية لليهودية العالمية وضدّ مصالح ألمانيا.¹²⁷ ثم يتحدّث عن تقارير الدبلوماسيين والقناصل الألمان التي لفتت إلى أخطار سياسة ألمانية متّجهة نحو إنشاء دولة يهودية في فلسطين على العلاقات العربية - الألمانية.¹²⁸ ويعتقد شتبات، أنّ سياسة هتلر تجاه اليهود ساعدت على إنشاء الوطن القوميّ اليهودي، وهذا لا يعود برأيه إلى "اتفاق هافارا" فحسب،

بلّ إلى اضطهاد هتلر لليهود، فيقول: "نعم، من غير المؤكّد أنّه كان بالإمكان تنفيذ الفكرة الصهيونيّة من دون هتلر" 129.

ولا يأخذ شتبات على الغرب مواقفه المعادية لعروبة فلسطين فحسب، بلّ يتطرّق إلى موقف الأمير فيصل بن حسين خلال مؤتمر الصلح في باريس، عندما وافق على وضع خاصّ لفلسطين خارج حدود الدولة العربيّة المنشودة، وقدّم تنازلات تجاه هجرة يهوديّة إلى فلسطين من أجل إقامة دولة عربيّة مستقلة في بقية أجزاء المشرق العربيّ تحت قيادته. 130 ويرى أنّ اتفاق فيصل - وايزمن (كانون الثاني 1919)، يدلّ بوضوح على أنّ "الهاشميين، سلالة الأشراف في مكّة، لم تعارض جذرياً الهجرة اليهوديّة إلى فلسطين". 131 إضافة إلى ذلك، ينتقد شتبات القيادات الإقطاعيّة والدينيّة الفلسطينيّة التي لم تطوّر مقاومتها للانتداب البريطانيّ وللهجرة اليهوديّة إلى فلسطين، ويأخذ عليها رفضها تأسيس "وكالة فلسطينيّة" على نسق "الوكالة اليهوديّة"، ممّا أدّى إلى عدم قيام هيئة سياسيّة تمثّل الشعب الفلسطينيّ. 132

يتابع عالم الإسلاميات شتبات المأساة الفلسطينيّة، فيشير إلى أنّ قيام الدولة العبريّة عام 1948، قد أضرّ بمصالح الفلسطينيين، ذلك أنّ الحركة الصهيونيّة أرادت بناء مجتمع يهوديّ كامل لا يكون اليهود فيه تجاراً وحرّفيين فحسب، كما حالهم في أوروبا، بلّ فلاحين وعمّال أيضاً. و"في مجتمع من هذا الطراز"، يضيف شتبات "لم يكن هناك مكان للعرب"، فتمّ طردهم من بلادهم. 133

يتابع شتبات دراسته عن القضية الفلسطينيّة بالحديث عن نمو الوعي القوميّ الفلسطينيّ، ويرى أنّه كان موجوداً عند تهجير الفلسطينيين من بلادهم عام 1948. 134 لكنه نمت منذ الستينات من القرن العشرين خارج القرى الفلسطينيّة في إسرائيل، في مخيمات اللاجئين في البلاد العربيّة وبمعزل عن القيادات التقليديّة الفلسطينيّة، ثمّ توجّه بإنشاء "منظمة التحرير الفلسطينيّة" وقيام المنظمات الفدائيّة الفلسطينيّة. 135 ويرى أنّ الفلسطينيين يشعرون أنّهم شعب ويتطلّعون للحصول على الحقوق نفسها التي تتمتع بها الشعوب الأخرى. وهو إذ يقرّ بحق إسرائيل في الوجود، يرى أنّ سلاماً في المنطقة لا يتحقق إلا من خلال عمليّة تضمن التعايش بين الفريقين. 136 وفي هذا السياق، يرحّب شتبات بدعوة بعض المنظمات الفلسطينيّة إلى إقامة دولة ديمقراطيّة علمانيّة على أرض فلسطين يتعايش فيها المسلمون والمسيحيون واليهود. وعلى رغم من أنّه يرى تحقيق هذا الهدف بعيد المنال، إلا أنّه يمتدحه ولا يراه مجرد تكتيك دعائيّ من جانب الفلسطينيين. ويضيف قائلاً: "إنّ هناك جماعات فلسطينيّة ليست قليلة متحرّرة من قيود الأفكار التقليديّة تسعى إلى تحقيق هذا الهدف، ولا تريد القضاء على اليهود ورميهم في البحر". 137 وعدا ذلك، (دولة ديمقراطيّة علمانيّة في فلسطين) يعتقد شتبات أنّ العرب والفلسطينيين لن يقبلوا بكيان صهيونيّ. 138

إذا كان ما ذكرناه أعلاه هو موقف الأستاذ شتبات من القضية الفلسطينيّة حتى عام 1973، فهل تغير هذا الموقف مع الوقت ومع نزوجه العلميّ؟

لا توجد في الواقع قرائن تشير إلى أنّ تعديلاً قد طرأ على موقف الأستاذ الألمانيّ. ففي عام 1985، أكد شتبات في دراستين له على موقفه المبدئيّ السابق من القضية الفلسطينيّة النابع من قناعات علميّة وإنسانيّة بعيدة عن أهواء السياسة وغاياتها. فاعتبر أنّ إنشاء إسرائيل كـ "كيان غريب ومتحالف مع القوى الإمبرياليّة" في قلب الأمّة العربيّة، هو ضدّ حركة التاريخ، التي كان يجب أن تؤدّي إلى إعطاء الشعب الفلسطينيّ استقلاله الوطنيّ وحقّه في تقرير مصيره. 139 وكتب

يقول: "لا يمكننا ... أن نتجاهل أن إنشاء الدولة اليهودية قد انتهك حقوقاً عربية حيوية، وإن العرب أنفسهم يشعرون أنهم مهددون من خلال ذلك، وإن اعتداءً قد أصاب كرامتهم، وإن إنشاء إسرائيل هو سبب النزاع في الشرق الأدنى، وإن سياستها تمنع وبشكل خطير وضع حد لهذا الصراع..."¹⁴⁰

- شتبات وعبد الناصر

- الثورة المصرية

لقد شغلت الثورة المصرية وعبد الناصر بالذات البروفسور شتبات طوال الستينات من القرن المنصرم، وخصص لهما أكثر من دراسة ومؤلف. وما يلفت النظر في الأستاذ شتبات تلك الحماسة غير المعهودة في عالم إسلاميات تجاه القضية العربية، وأعني تجاه الثورة المصرية. وإذا علمنا أن كتاباته عن عبد الناصر وعن الثورة المصرية قد وضعت في أوائل الستينات، أي في ذروة الهجمة الغربية ضدّ الزعيم المصري والقومية العربية، لأدركنا على الفور مدى الشجاعة والموضوعية اللتين تحلّى بهما عالم شاب وهو يصف بإعجاب تلك التحولات التي أتت بها الثورة المصرية في مجالات الخطط الإنمائية والتصنيع، ودعم الدولة للسلع الحياتية وتحقيق العدالة الاجتماعية، والقوانين الاشتراكية والإصلاح الزراعي، ونظام التعاونيات، وتوسيع القطاع العام،¹⁴¹ فضلاً عن سياسة الحياد الإيجابي والتضامن مع الشعوب الأفروآسيوية.¹⁴² وبموضوعية، يقول شتبات إن كل ما قامت به الثورة المصرية تبقى مسائل قابلة للنقاش. لكنه يطرح من جهة أخرى التساؤل التالي: "هل كان بإمكان أي بلد نام أن يحقق عملياً هذه الأهداف بطرق أخرى؟"¹⁴³ ولهذا، يرفض اعتبار ما حصل في مصر انقلاباً، ويقول: "لقد شكّ كثيرون بدايةً في كون حركة ناصر ورفاقه ثورة. أما اليوم (1964)، "يضيف" فلا يشكّ أحد في ذلك"¹⁴⁴. ويعتبر أن الميثاق كان أعظم إنجازات الثورة المصرية حيث جسّد مبادئها.¹⁴⁵

ويتطرق شتبات إلى تلك الإشكالية التي جمعت ما بين الوحي والعقل (Vernunft und Offenbarung) في فكر رجال الثورة المصرية وممارساتهم: التوفيق بين الإسلام المتجدّر في المجتمع المصري من جهة، وخط القومية والاشتراكية الذي انتهجته الثورة من جهة أخرى، من دون حصول صدام بينهما.¹⁴⁶ ويعتقد أن عبد الناصر لم يتنكر للإسلام، وأنّ الدين والأيمان بالله كانا بالنسبة إليه دعامة من دعائم الثورة.¹⁴⁷ ثم يضيف قائلاً، إنّ الاتجاهات القومية عند عبد الناصر قد صهرت طوائف مصر الدينية في بوتقة قومية واحدة جاء التعبير عنها في دستور عام 1956، بأنّ مصر هي جزء من الأمة العربية.¹⁴⁸ ويؤكد الأستاذ شتبات بأنّ حرب فلسطين ونتائجها، ومعركة الاستقلال وحرب السويس، ومحاولات ربط المنطقة بأحلاف غربية، صاغت جميعها الاتجاهات العروبية عند عبد الناصر وأكسبته سمعة عالية وألفت بينه وبين الجماهير التي رفعته إلى مرتبة قائد الأمة العربية.¹⁴⁹ وانسجماً مع مفهومي العروبة والقومية العربية، استجاب عبد الناصر لإلحاح السوريين في الوحدة، ولم يصطدم معهم عندما حصل الانفصال، لأنه - كما يذكر شتبات - كان يؤمن بأنّ الوحدة لا تتمّ إلا عن طريق الحوار القومي الحر.¹⁵⁰

لا تتوقف معاينات الأستاذ شتبات لأوضاع المنطقة العربية عند حدود إنشاء الكيان الصهيوني، ولا عند مشروع القومية العربية الذي أنت به الناصرية، بل يعالج بعمق الصراع العربي- الإسرائيلي مركزاً على دور عبد الناصر فيه.

يرى شتبات أن إسرائيل عملت من خلال آلتها العسكرية على تحقيق هدفين رئيسيين: توسيع حدودها، وإجبار العرب على الاعتراف بوجودها. فكانت هي من أطلق الرصاصة الأولى في حربَي 1956 و1967. ويتساءل: "هل كان هذا كافياً لتحسين أمن إسرائيل؟" ويجيب من دون تردد بالقول: "كلا". ثم يشير إلى الحرب العربية - الإسرائيلية عام 1973 ويقول: "لو قدمت إسرائيل تنازلات (إلى العرب)، ولو أخلت المناطق العربية المحتلة (عام 1967)، لما كانت اندلعت الحرب الحالية".¹⁵¹ ويعتقد أن حكومتَي مصر والأردن كانتا مبدئياً على استعداد بعد حرب عام 1967 للانضمام إلى عملية سلام في المنطقة. أما إسرائيل، فلم تكن تريد التخلي عن الأراضي العربية التي كانت قد احتلتها في الحرب المذكورة،¹⁵² وهو ما جعل العرب يطلقون الرصاصة الأولى في عام 1973. ويقول: "إنه لو قدمت إسرائيل تنازلات وأعدت إلى العرب أراضيهم المحتلة، فإن أغلب الظن أن حرباً جديدة ما كانت لتقع في عام 1973".¹⁵³

وفي كتابه "السياسة الدولية في البحر المتوسط"، الذي صدر في عام 1973،¹⁵⁴ لم يكن شتبات مجرد مؤرخ، بل مراقب يومي للأحداث التي سبقت اندلاع الحرب العربية - الإسرائيلية الثالثة. فمطالعته للصحافة اليومية والتقارير والدراسات المعاصرة وحُطبت الرئيس عبد الناصر، مكنته من الإجابة في حينه عن عديد من التساؤلات في ما يتعلق بالدبلوماسية والتطورات السياسية التي أدت إلى حرب عام 1967، وأن يحدّد مسؤولية الأطراف الإقليمية والدوليين عنها. فيشير إلى أن الرئيس عبد الناصر عاد في عام 1966، بعد فشل سياسة التعايش مع الأنظمة العربية المحافظة (مؤتمرات القمة العربية واتفاق جده بينه وبين الملك فيصل في آب 1965 حول اليمن¹⁵⁵)، وقيام التكتلات العربية ضده، إلى القيام بدور القطب في العالم العربي. فدعم منظمة التحرير الفلسطينية والدول العربية التي كانت تتعرض لتهديدات إسرائيل.¹⁵⁶

يطرح شتبات سؤالاً عما إذا كان بالإمكان اعتبار الرئيس عبد الناصر مسؤولاً عن اندلاع حرب عام 1967. فيجيب أن الزعيم المصري لم يكن يريد حرباً مع إسرائيل لا يكون مستعداً لها¹⁵⁷، ولم يكن يريد تدمير الدولة العبرية في تلك المرحلة،¹⁵⁸ على عكس سورية، التي كانت، ولأسباب داخلية، تسعى إلى حرب شعبية ضدّ الدولة العبرية، وجعلت الرئيس المصري يوقع معها "اتفاقية الدفاع المشترك" (1966/11/4)¹⁵⁹. ويقدم شتبات سلسلة من الوقائع تدعم فرضيته هذه في أن مصر لم تُهيئ لحرب ضدّ إسرائيل، منها إدراكها تفوق إسرائيل عليها عسكرياً،¹⁶⁰ ووقوف الولايات المتحدة الأميركية ضدّ أية محاولة لإزالة دولة إسرائيل من الوجود.¹⁶¹ كذلك، تصريحات ناصر المتكررة إبان الأزمة التي سبقت اندلاع الحرب باستعداده للعودة إلى اتفاقية الهدنة لعام 1949¹⁶²، والموافقة على تمركز قوات دولية على جانبي الحدود بين بلاده وإسرائيل¹⁶³، ودبلوماسية مصر في المؤتمرات الدولية التي كانت تصبّ في العودة إلى قرار تقسيم فلسطين لعام 1947.¹⁶⁴ وأخيراً، أن الزعيم المصري لم يهاجم إسرائيل مرة واحدة.¹⁶⁵ ويضيف شتبات، إن تحرك الجيش المصري إلى سيناء في أيار 1967 رداً على تهديدات إسرائيلية ضدّ سورية، ما كان

سوى مظاهره لتحقيق كسب سياسيّ على إسرائيل يُلغي انتصاراتها التي كانت قد حققتها في عام 1956، ولجعل مركز عبد الناصر في العالم العربيّ أكثر قوّة من ذي قبل.¹⁶⁶ ويقول شتبات إنّ الرئيس المصريّ كان يفرّق بين رغبته في إزالة إسرائيل من الوجود وعدم توفّر إمكانية تحقيق ذلك.¹⁶⁷

مقابل ذلك، يحدّد شتبات خطأين ارتكبهما الرئيس المصريّ وهما: تحريك قوّاته نحو خليج العقبة وإغلاق مضيق شرم الشيخ، معطياً إسرائيل ذريعة لمهاجمته¹⁶⁸، واعتقاده أنّ الأزمة المتصاعدة بين بلاده وإسرائيل سوف تبقى في إطار النزاع السياسيّ والمناورات الدبلوماسية، ولن تصل أبداً إلى درجة الحرب، وأنّ موسكو والعواصم الغربية سوف تتدخل في اللحظة المناسبة لنزع فتيل الأزمة.¹⁶⁹ ويشير إلى أنّ موسكو ضللت مصر بمعلومات حول نوايا إسرائيل العدوانية تجاه سورية، وشجّعت ناصر على تصعيد الأزمة بهدف تدعيم مركزها في المنطقة، من دون أن توضح له موقفها في حال لحقت الهزيمة به على يد إسرائيل.¹⁷⁰

أخيراً، يشير شتبات بوضوح إلى مسؤولية إسرائيل عن الحرب، ويرى أنّها بدأت العدوان، وإنّ إغلاق خليج العقبة أمام سفنها ما كان يلحق الضرر بتجارتها، إذ كانت نسبة 5% من سلعتها الإستراتيجية تستخدم هذا الممرّ المائيّ.¹⁷¹ أخيراً، يخلص أستاذنا إلى مسألتين شجّعتا إسرائيل على بدء الحرب، وهما الدعم الأميركيّ لها، وتأكيدا من أنّ الولايات المتحدة الأميركية سوف تفي بالتزاماتها تجاه وجودها وتمنع تدميرها. ثم ينقل عن مراقبين أنّ واشنطن كانت تدعم تحرك تل أبيب أثناء الأزمة.¹⁷²

لا تتوقف دراسات شتبات حول الصراع العربيّ - الإسرائيليّ عند حدود عام 1967. ففي كتيب آخر له "الصراع في شرق المتوسط بعد حرب عام 1967"¹⁷³، يؤرّخ للمرحلة التي تلت حرب عام 1967 وحتى انتهاء حرب الاستنزاف التي شنها المصريون ضدّ إسرائيل. ويشير إلى أنّ نتائج حرب عام 1967، جعلت عبد الناصر أكثر عقلانية وواقعية سياسية. ويعطي أمثلة على ذلك: تصالحه مع الملك فيصل وسحب قوّاته من اليمن، والتخلّي عن سياسة تقسيم العرب إلى معسكرين تقدميّ ورجعيّ، وتفهمه لاتصالات الملك حسين بالإسرائيليين والأميركيين، وإعادة الانفتاح على الدول الغربية.¹⁷⁴ كما يذكر أنّ مساعدات دول النفط العربية لمصر بالمال، ساهمت في بلورة سياسة عبد الناصر الجديدة هذه.¹⁷⁵

يعتقد الأستاذ شتبات أنّ "اللاءات الثلاث" التي صدرت عن مؤتمر القمة العربية في الخرطوم (أب 1967)، تركت الباب مفتوحاً أمام حلّ سلميّ مع إسرائيل من دون التفاوض معها مباشرة.¹⁷⁶ وي طرح التساؤل التالي: عمّا إذا كانت الدول العربية قد سعت بالفعل أثناء مفاوضات السلام حول القرار 242 لتقوية نفسها والعودة مجدداً لمقارعة إسرائيل عسكرياً؟ فيشير إلى أنّ الرئيس المصريّ ظلّ يعمل حتى وفاته على حلّ غير سياسيّ، لأنّه كان يدرك أنّه من دون قوّة عسكرية لا يمكن الحصول على تنازلات من إسرائيل. وفي هذا المعنى يفهم أستاذنا الكبير حرب الاستنزاف المصرية ضدّ إسرائيل التي بدأت عام 1968 وانتهت في عام 1969 بقبول مصر مبادرة السلام لوزير الخارجية الأميركيّ وليم روجرز.¹⁷⁷ لكن شتبات يسارع إلى القول بأنّ حرب الاستنزاف التي خاضها عبد الناصر لم تقرب الحلّ السلمي.¹⁷⁸

ينتقد شتبات تجاهل إسرائيل مساعي العرب للسلام ورفضها العودة إلى حدود ما قبل عام 1967¹⁷⁹، ودعوها بالتالي إلى مفاوضات مباشرة مع العرب، بينما تستمرّ هي في عملية الاستيطان في المناطق العربيّة المحتلة. ويتساءل: " كيف يمكن للجانب العربيّ أن يأمل باستعادة أراضيهِ المحتلةّة بواسطة المفاوضات، بينما إنشاء المستوطنات في تلك الأراضي على قدم وساق"؟¹⁸⁰ وللتدليل على رفض إسرائيل السلام، يعطي شتبات مثلاً، وهو تصريح موشي دايان، وزير حربها آنذاك، حين قال: "إنّ شرم الشيخ من دون سلام أفضل من سلام من دون شرم الشيخ"¹⁸¹.

6- استنتاج

لا يمكننا أن نفصل شتبات العالم عن شتبات الإنسان، فكلاهما متلازمان ومتّمان لبعضهما بعضاً. لقد كان شتبات وما يزال مخلصاً للعلم والإنسانيّة ووفياً لهما، وفي الوقت نفسه مسيحيّاً متسامحاً رأى في الإسلام شريكاً لأوروبا النصرانيّة، لا عدواً لها. وعلى مدى نصف قرن، عمل بشجاعة نادرة ليكون مفسراً للإسلام ورسولاً بينه وبين أوروبا المسيحيّة. لم يخشى الإعلان بأنّ الإسلام دين تسامح ومحبة، رافضاً كلّ التحامل عليه وعلى المسلمين. دافع عن النبيّ ضدّ كلّ حملات الحطّ من قدره وقدسيتّه وتشويه سمعته، ولم يعتقد يوماً أنّ الإسلام، وحتى الأصوليّة الإسلاميّة، يشكّلان خطراً على العالم المسيحيّ.

وفي أوج الهجمة على الإسلام خلال الثمانينات والتسعينات من القرن الماضي، والتي سبقت حادثة 11 أيلول 2001، توقع شتبات برؤيته العلميّة أن يأتي اليوم الذي يتحوّل الغرب فيه إلى عدو للإسلام، وبخاصّة بعد سقوط الاتحاد السوفياتيّ والترويج لنظريّة "صراع الحضارات" بين الإسلام والمسيحيّة. فحدّر مجتمعه الأوروبيّ والساسة الأوروبيين من مغبة الوقوع في فخّ هذه المقولة، مطالباً إيّاهم بالتعرّف على أسباب نموّ الأصوليّة في المجتمعات الإسلاميّة، عبر تقصيّ العوامل السياسيّة والاقتصاديّة والاجتماعية الداخليّة وشعور المسلمين بأنّ الغرب المسيحيّ يهدّدهم، وأنهم يعيشون في نظام دوليّ قاهر وظالم يعمل على دعم أنظمة عربيّة وإسلاميّة فاسدة تمثّل مصالحة.

وقد انتقد شتبات سياسة الغرب في "الكيل بمكيالين"، معطياً أمثلة على ذلك، وهي انحياز الولايات المتحدة إلى جانب إسرائيل، وتناسي الغرب القضية الفلسطينيّة وتجاهله حقوق الشعب الفلسطينيّ. فشجب بشدّة حلّ المسألة اليهوديّة في أوروبا على حساب العرب الفلسطينيّين، الذين لا علاقة لهم بما تعرّض له اليهود في المجتمعات الأوروبيّة. كما انتقد سياسة إسرائيل في رفضها السلام مع العرب واعتبرها من أطلق الرصاص الأولى في حربين شنتهما على العرب في عامي 1956 و1967، وقيامها بمشاريع تهويد الأراضي العربيّة الفلسطينيّة عبر إنشاء المستوطنات. لكنه، وفي الوقت نفسه، أخذ على عبد الناصر انزلاقه في حرب (1967) لم يكن مستعداً لها ولا يريدّها.

لقد نبعت مواقف شتبات تجاه كلّ الموضوعات الإسلاميّة والعربيّة التي كرّس حياته لدراستها، من شجاعة وصفات نادرة قلّما رأيناها مجسّدة في إنسان واحد: موضوعيّة علميّة، ليبراليّة، مسيحيّة متسامحة، إنسانيّة منفتحة، انسجام مع الذات، انصهرت كلّها معاً لتكوّن عالم الإسلاميات فريتر شتبات، صديق الإنسانيّة والعرب والمسلمين.

الحواشي

- * تعتمد هذه الدراسة على أكثر من خمسة وثلاثين كتاباً ودراسة ومقالاً لعالم الإسلاميات شتبات، وهي لا تشكل سوى نصف أعماله، لكنها تعطي، مع ذلك، فكرة واضحة عن اتجاهاته الفكرية والعلمية.
- ¹ Fritz Steppat, "Nationalismus und Islam bei Mustafa Kamil", in: **Die Welt des Islams**, N.S. IV, pp. 241-341 (1956), وهذا الكتيب هو مختصر لأطروحته عن مصطفى كامل.
- ² Fritz Steppat, "Tradition und Säkularismus im modernen ägyptischen Schulwesen bis zum Jahre 1952 (التقليد والعلمنة في نظام التعليم المصري الحديث حتى عام 1952)". وقد نُشر أحد فصولها في: William Polk/Richard Chambers (Eds.), **Beginnings of Modernization in the Middle East**, Chicago/London 1968، تحت عنوان: „National Education Projects in Egypt before the British Occupation“, pp.. 281-297.
- ³ أشكر في هذه المناسبة أستاذي شتبات على المعلومات التي زودني بها حول سيرته العلمية. تاريخ رسالته 11 أيار 1996. وحول أعماله حتى نهاية الستينات، راجع كتاب ميشال جحا، الدراسات العربية والإسلامية في أوروبا، بيروت 1982، ص 226-228.
- ⁴ رومان لويمبير، "إدوارد سعيد والاستشراق الألماني (تكريم نقدي)", في: **فكر وفن** 81 (2005)، ص 9.
- ⁵ إلى جانب أطروحتي الدكتوراه والأستاذية، أشير إلى رسالة الماجستير التي نُشرت من قبل مجلة "Europa-Archiv" عام 1948 وهي بعنوان: "Iran zwischen den Großmächte 1941-1948" (إيران بين القوى العظمى 1941-1948).
- ⁶ Fritz Steppat, "Wandlungen der libanesischen Unabhängigkeit", in: **Zeitschrift für Politik**, 34(1944), pp. 135-142.
- ⁷ على سبيل المثال، دار النشر والمجلات: R.Oldenburger/München; Europa-Archiv; E.J. Brill/Leiden; Zeitschrift für Politik; Jahrbücher der Deutschen Gesellschaft für Auswärtige Politik; Internationale Politik; Die Welt des Islams; British Society for Middle Eastern Studies Bulletin ومجلة "جمعية المستشرقين الألمان" (ZDMG)، ومجلة "الأبحاث" (لبنان).
- ⁸ حول أعمال شتبات حتى عام 1988، أنظر: **Die Welt des Islams** 28(1988), pp. 3-7، أمّا المؤلفات التي قام بنشرها بعد ذلك التاريخ، فسترد هنا وهناك في حواشي الدراسة.
- ⁹ المرجع السابق، ص 7-10.
- ¹⁰ من هؤلاء على التوالي كما وردوا في فهرست موضوعات الكتاب التذكاريّ له: Axel Havemann, Gerd Herbert Busse, Werner Ende, Susanne Anderwitz, Josef Van Ess, Cornelia Winkelhane, Essner, Hartmut Fähndrich, Bert Fagner, Ulrich Haarmann, Peter Holt, Baber Johansen, Gisela Johannes Reissner, Thomas Philipp Gottfried Müller، Kraft, Jacob Landau, Bernard Lewis, Friedrich Maxim Rodinson, Hans Robert Roemer, Linda Schatkovski Dchilcher, Fred Scholz Stenzler, Jacques Waardenburg, Dieter Weiss, Stefan Wild, Hartmut Zinser, Alexander Schölch. ومن المشاركين العرب في الكتاب: ناجي نجيب، رؤوف عباس حامد، أنور عبد الملك، جميل أبو النصر، محمد أركون، صادق جلال العظم، وداد القاضي، عبد الكريم رافق، عبد الرؤوف سنو، مصطفى ماهر، عبد الغفار مكاوي.
- ¹¹ "الأبحاث" (بيروت)، 20، 1 (1967) ص 34.
- ¹² **Die Welt des Islams**, 28(1988), p. 1.

Fritz Steppat, "Mohammed Ali", in: Sonderdruck aus Band VII der Enzyklopädie "**Die Großen der Weltgeschichte**", Zürich 1976, p. 187. ¹³

Fritz Steppat, „Islamische Antworten auf die Fragen der modernen Welt“, in: **Weltmacht Islam**, München 1988, p. 417 ¹⁴
لمصلحة المسلمين،

ويعطي مثلاً على ذلك، أنهم وضعوا قواعد دقيقة قبل تنفيذ حكم الشريعة بقطع يد السارق. كما يذكر أن الخليفة عمر بن الخطاب (634-644) قرر عدم بتر اليد في حالة المجاعة. ¹⁵
فريتز شتبات، "بدايات التاريخ الحديث في الشرق الأدنى"، في "الأبحاث"، مرجع سابق ص 20-21.

Fritz Steppat, "Mohammed Ali", op. cit., pp. 187-193; Fritz Steppat, „Misr“, in: **Encyclopaedia of Islam** 2, vol. VII, p. 182. ¹⁶

“ Als Islamwissenschaftler hingegen ist es seine Aufgabe, die Geschichte nicht von einem eurozentrischen oder gar germanzentrischen Standpunkt aus zu betrachten, sondern er muß die Region in den Mittelpunkt stellen, die in seine Kompetenz fällt; den Vorderen Orient“, Fritz Steppat, „Das Jahr 1933 und seine Folgen für die arabischen Länder des Vorderen Orients“, in: Gerhard Schulz (ed.). **Die Große Krise der dreißiger Jahre**, Göttingen 1985, p. 261. ¹⁷

“... <oriental > scholars should ... study Christianity and western culture, so that they can, from the <outside > perceive the Problems of the West ...”, Fritz Steppat, “Observationson the Role of Scholarship in Inter-religious Dialogue“. An inaugural lecture for the Reopening of the Orient-Institut Beirut, 14. Oct. 1994, Beirut 1996, p. 22. ¹⁸

Fritz Steppat, „Some Historical Aspects of the Clash between Zionism and Arab Nationalism“, in: **Zionism- Judaism** ed., University Christian Center Forum, Beirut 1968, p. 1. ¹⁹

Die Geschichte des Palästina –Problems seit dem 1. Weltkrieg ²⁰
محاضرة غير منشورة للبروفسور شتبات ألقيت أمام حلقة "الحرب والسلام في الشرق الأدنى" في مركز الجالية الإنجليّة بدالم - برلين في 16 تشرين الأول 1973 بمناسبة اندلاع حرب عام 1973 بين العرب وإسرائيل، ص 1. ²¹

Steppat, Observations, op. cit., p. 2. ²¹

المرجع السابق، ص 2. ²²

شتبات، بدايات العصر الحديث في الشرق الأدنى، ص 18. ²³

Fritz Steppat, „Konfessionalismus im Libanesischen Roman: Taufiq yusuf Awwād, Ṭawāhin Bairūt“, in: **Die Welt des Islams** 23-24(1984), pp. 198-209. ²⁴

في:

„Libanon“, in: **Evangelisches Kirchenlexikon**, Göttingen 1990, pp. 83-86 لبنان ²⁵

Fritz Steppat, „Gott, die Futuwat und die Wissenschaft: Zu Nagib Mahfūz: Awwād haratna“, in: **Melanges d'Islamologie(Bruxelles)**, vol.II 1975(Correspondance d'Orient 13), pp. 375-390. ²⁵

وقد نقلت هذه الدراسة إلى العربيّة، أنظر ببليوغرافيا شتبات في مجلة **Die Welt des Islams** مرجع سابق ص 5. ²⁶

Fritz Steppat, “Ein ‘Contrat Social’ in einer palästinischen Stadt 1854“, in: **Die Welt des Islams** 15, 1-4(1974), pp. 233- 246. ²⁶

Steppat, Observations pp. 2-3. ²⁷

شتبات، بدايات العصر الحديث، مرجع سبق ذكره، ص 17. ²⁸

Steppat, Nationalismus und Islam bei Mustafa Kamil, op. cit., p. 332. ²⁹

المرجع السابق ص 266ff, 333f. ³⁰

المرجع السابق ص 271-277 و 334. ³¹

المرجع السابق ص 281-294 و 334. ³²

- 33 من فحوى رسالة من الأستاذ شتبات إلى كاتب الدراسة بتاريخ 11 أيار 1996.
- 34 Steppat, Observations, pp. 9-10.
- 35 **“ Wir dürfen unter keinen Umständen ein neues <Feindbild Islam > entstehen lassen, oder ein altes <Feindbild Islam > wieder hervorholen“**, Fritz Steppat, „Fundamentalismus im Islam: Islamisten auf der Suche nach Hoffnung, Orientierung, Identität“, in: Dietrich Schirmer (ed.) **Religiöser Fundamentalismus im Judentum, Christentum und Islam**, Dokumentation 86/91 Tagung der Evangelischen Akademie Berlin(West) vom 20.-22. September 1991, p. 31.
- 36 المرجع السابق ص 31.
- 37 **“Der Islam bedroht uns nicht... Im Gegenteil ... dürfte klargeworden sein, daß die Muslime sich ihrerseits bedroht und verunsichert fühlen. Es trifft zu, daß ein solches Gefühl zu Aggressivität führen kann, doch das ist keine dem Islam wesensgemäße Aggressivität“**.
- 38 المرجع السابق ص 32.
- 38 Fritz Steppat, „Die arabische Welt in der Epoche des Nationalismus“, in: Franz Taeschner (ed.) **Geschichte der arabischen Welt**, Stuttgart 1964, pp. 229-230.
- 39 Steppat, Fundamentalismus im Islam, op. cit., pp. 20-21.
- 40 Steppat, Islamische Antworten, op. cit., pp. 414-415.
- 41 Steppat, Fundamentalismus im Islam, op. cit., pp. 20- 21.
- 42 Steppat, Islamische Antworten, p. 415; Steppat, Fundamentalismus im Islam, pp. 19-20.
- 43 Steppat, Fundamentalismus im Islam, p. 22.
- 44 Steppat, Die arabische Welt, op. cit., pp. 182-183 و المرجع السابق ص 22، 28
- 45 Steppat, Islamische Antworten, op. cit., p. 415.
- 46 Fritz Steppat, „Säkularisten und Islamisten: Ein Kategorisierungsversuch in Ägypten“, in **Asien, Afrika, Lateinamerika** (Berlin), 19(1991) 4, p. 699.
- 47 Steppat, Fundamentalismus im Islam, pp. 24-25.
- 48 نُشرت دراسة عمارة في المجلة الشهرية "الهلال" في أيلول 1990 تحت عمود "دائرة حوار". أنظر: Steppat, Säkularisten und Islamisten, op. cit., p. 700.
- 49 المرجع السابق ص 701 - 702.
- 50 Steppat, Fundamentalismus im Islam, pp. 27-28.
- 51 المرجع السابق ص 29.
- 52 Steppat, Die arabische Welt, op. cit., pp. 182-183.
- 53 Steppat, Fundamentalismus im Islam, p. 32.
- 54 Steppat, Observations, op. cit., pp. 3-4.
- 55 **Foreign Affairs 72/3**(1993), pp. 22-49.
- 56 Steppat, Observations, pp. 3, 7-8.
- 57 **“ There are people who simply feel the need to face a threat, an enemy. If it cannot be the communist powers any more, Islam and Islamdom come as a convenient substitute”**, Steppat, Observations, p. 4.
- 58 المرجع السابق ص 8، 18، 20 وما بعد.
- 59 Steppat, Observations, p. 8; Fundamentalismus p. 32.
- 60 „Der Unfrieden um den Friedenspreis“ In: **Berliner Morgenpost 17.9.1995**.
- 61 Fritz Steppat, „Für eine einheitliche Organisation der Muslime in Deutschland“, in: **Islam und der Westen** (Wien) 9/1, Juni 1989.

- Steppat, Nationalismus und Islam bei Mustafa Kamil, op. cit., p. 266. 62
- Fritz Steppat, „Omar I“, in: Sonderdruck aus Band II der Enzyklopädie “ **Die Großen der** 63
Weltgeschichte “, Zürich 1972, pp. 835-845.
- Fritz Steppat, „God’s Deputy: Materials on Islam’s Image of Man“, in: **Arabica** 36(1989), pp. 64
163-172.
- 65 المرجع السابق ص 164. ومع أنّ أبا بكر الصديق قد حسم هذه المسألة إثر مبايعته بالخلافة بالقول: إنّه ليس خليفة الله، بلّ خليفة رسول الله.
- 66 المرجع السابق ص 164-165.
- 67 المرجع السابق ص 165.
- 68 المرجع السابق ص 166.
- 69 المرجع السابق ص 167.
- 70 المرجع السابق ص 167-168، 171.
- 71 المرجع السابق ص 169-170.
- 72 المرجع السابق ص 172.
- Fritz Steppat, “Faith gives hope of salvation. Contemporary discussions in popular Muslim 73
writings“, in: **Mèlanges en hommage au professeur et au penseur Libanais Farid Jabre**, Beyrouth 1989, pp. 241-248.
- 74 المرجع السابق ص 243 و 244. الجدير بالذكر، أنّ البنا رأى أنّ الإثنين في النهاية يكملّان بعضهما بعضاً.
- 75 المرجع السابق ص 246-247.
- 76 المرجع السابق ص 247-248.
- 77 المرجع السابق ص 248.
- Fritz Steppat, “Der Muslim und die Obrigkeit“, in: **Zeitschrift für Politik**, N.F. 12(1965), pp. 78
319-332; Steppat, „Kalifat, Dar Al-Islam und die Loyalität der Araber zum Osmanischen Reich Hanafitischen Juristen des 19. Jahrhunderts“, in: **Actes du Ve Congrès** bei
International d’Arabisants et d’Islamisants 1970 (Correspondance d’Orient 11), pp. 443-462.
- 79 Steppat, Die Obrigkeit , op. cit., p. 320.
- 80 المرجع السابق ص 321.
- 81 المرجع السابق ص 325.
- 82 المرجع السابق ص 326.
- 83 المرجع السابق ص 328-329 .
- 84 المرجع السابق ص 329.
- 85 Steppat, Kalifat, op. cit. وفي دراسته هذه، يتطرق البروفسور شتبات إلى الآراء الفقهيّة للسوريّين عابدين التي كانت تنسجم مع النظرة التقليديّة للمسلم، وهي الولاء للسلطة.
- 86 المرجع السابق ص 461.
- Fritz Steppat, “Those who believe and have not emigrated. The Bedouin as the Marginal 87
Group of Islamic Society“, in: **Islao e Arabismo na Peninsula Iberica, Actas do XI. congresso da Uniao Europeia de Arabistase e Islamologos** (Evora-Faro-Silves, 29 Set.- Out. 1982), pp. 403-412.
- 88 المرجع السابق ص 412. يتابع شتبات في دراسة أخرى له مسألة البدو المهمّشين في المجتمع الإسلاميّ، حيث يتطرق إلى رأي ابن خلدون باعتبار البداوة عاملاً مهماً في تطوّر الحضارة البشريّة، وإلى محاولات عبد العزيز بن سعود توطين البدو في "الهجر"، أنظر Fritz
- Steppat, „Die Beduinen als Randgruppe der islamischen Gesellschaft“, in: **Scholz/Jansen (ed.) Nomadismus- Ein Entwicklungsproblem? Abhandlungen des Geographischen Instituts-**

وقارن بشكل خاصّ بصفحة 117. *Anthropogeographie*, Band 33, Berlin 1982, pp. 113-118.

89 شتبات، بدايات العصر الحديث في الشرق الأدنى، ص 30.
90 Die Geschichte des Palästina-Problems seit dem I. Weltkrieg, op. cit., p. 7.
91 Steppat, Nationalismus und Islam, op. cit., pp. 252ff.; Fritz Steppat, Misr, op.cit., p. 185.

92 Die Geschichte des Palästina- Problems, op. cit., p. 5; Die arabische Welt, pp. 194-195.

93 Steppat, Die Geschichte des Palästina- Problems, op. cit., p. 8.
94 يرى شتبات أنّ أزمة عام 1860 كان لها نتائج عديدة، منها "تغير في الوعي الاجتماعي- السياسي للسكان، الذي مهد الطريق لظهور القومية"، أنظر: Fritz Steppat, "Some Arabic Manuscript Sources of the Syrian Crisis of 1860", in: Jacques Berque et Dominique Chevallier (eds.) *Les Arabes par leurs archives (XVI-XX siècle,)* *Colloques internationaux du Centre National de la Recherche Scientifique* No. 555, Paris 9-11 avril 1974, Paris 1976, p. 183.

ويفت شتبات في دراسته هذه انتباه المؤرخين إلى ثلاثة مخطوطات عربيّة حول الأزمة السوريّة عام 1860 تحتوي على مشاهدات حيّة حول وقائع الحرب وأسبابها، ومنها المباشرة، التنظيمات العثمانيّة، والمساواة بين المسلمين والمسيحيين، والتنافس الاجتماعي- الاقتصاديّ بينهم، ص 187-188. ويختم دراسته بالقول: إنّ سبب دفع الدولة العثمانيّة تعويضات عادلة إلى مسيحيي دمشق المنكوبين، يعود إلى أهمية هؤلاء الاقتصاديّة لتلك المدينة وللحدّ من هجرتهم إلى الخارج، ص 190.

95 Fritz Steppat, "Eine Bewegung unter den Notabeln Syriens 1877-1878. Neues Licht auf die Entstehung des arabischen Nationalismus", in: *ZDMG*, Suppl. I. = 17. Deutscher Orientalistentag vom 21.-27. Juli 1968 in Würzburg, ed. Wolfgang Voigt, Wiesbaden 1969, pp. 631-6

حول هذه الحركات، أنظر: عبد الرؤوف سنو، النزعات الكيانية الإسلامية في الدولة العثمانية 1877-1881) بلاد الشام، الحجاز، كردستان، ألبانيا)، دار بيسان للنشر، بيروت 1998.

96 Steppat, Die arabische Welt, op.cit., pp. 195-196.

97 Steppat, Die Geschichte des Palästina- Problems, op. cit., p. 8.

98 المرجع السابق ص 231-232.

99 Steppat, Das Jahr 1933, op. cit., pp. 261-278.

100 Steppat, Die Geschichte des Palästina-Problems, op. cit., p. 5.

101 Steppat, Das Jahr 1933, pp. 265, 269-270.

102 المرجع السابق ص 270.

103 Steppat, Die arabische Welt, p. 232.

104 المرجع السابق ص 234.

105 Fritz Steppat, „Nassers Revolution: Ein Neuer Anlauf.“, in: *Europa-Archiv*, Folge 5, 1962, p.165.

Fritz Steppat, „Gamal Abdannasir“, in: *Die geistig -und politischen Profile der Gegenwart in Asien: Eine Auswahl von Vorträgen der Seminare der Österreichischen UNESCO - Kommission*, Wien 1964, p. 39.

106 Fritz Steppat, Nassers Revolution, p. 165.

107 Steppat, Die arabische Welt, pp. 231-232.

108 المرجع السابق ص 231-232.

109 Fritz Steppat, „Libanon“, in: *Evangelisches Kirchenlexikon*, ed. Erwin Fahlbusch usw., Göttingen 1990, p. 86.

110 Steppat, Some Historical Aspects of the Clash between Zionism and Arab Nationalism, op. cit., p. 2.

Steppat, Geschichte des Palästina-Problems, p. 2.	111
المرجع السابق ص 2.	112
Steppat, Some Historical Aspects, p. 5.	113
المرجع السابق ص 5-6.	114
المرجع السابق ص 6.	115
Steppat, Geschichte des Palästina-Problems, p. 3.	116
المرجع السابق ص 4-5.	117
Steppat, Some Historical Aspects, pp. 7-8.	118
Steppat, Geschichte des Palästina-Problems, p. 5.	119
Steppat, Some Historical Aspects, p. 12.	120
Steppat, Die arabische Welt, p. 230.	121
Steppat, Some Historical Aspects, p. 11.	122
المرجع السابق ص 11 وقارن ب: 7. Geschichte des Palästina-Problems, p. 7.	123
Steppat, Das Jahr 1933, p. 262.	124
المرجع السابق ص 264 وما يليها.	125
راجع في هذا الخصوص الفصلين الثاني والثالث من كتاب عبد الرحمن عبد الغني، ألمانيا النازية وفلسطين 1933-1945، بيروت 1995، ص 48-186.	126
Steppat, Das Jahr 1933, p. 264.	127
المرجع السابق ص 266-267.	128
المرجع السابق ص 275.	129
Steppat, Die arabische Welt, pp. 208-209.	130
Steppat, Geschichte des Palästina-Problems, p. 8.	131
Steppat, Stachel im Fleisch, op. cit. p. 158.	132
Geschichte des Palästina-Problems, p. 9.	133
Steppat, Stachel im Fleisch, p. 158.	134
المرجع السابق ص 163-164.	135
Steppat, Geschichte des Palästina-Problems, pp. 13-14.	136
Steppat, Stachel im Fleisch, p. 164.	137
Steppat, Some Historical Aspects, p. 13.	138
“The establishment of a foreign entity, allied imperialist powers, in the midst of the Arab countries was felt to mean a reversal of the course of history which had been expected to lead irresistibly toward national independence and self-determination” .Fritz Steppat, „Re-Reading: The Meaning of Disaster in 1985“, in: <i>Studia Palaestina. Studies in honour of Constantine K. Zurayk</i> , Hisham Nashabe(ed.), Beirut 1988, p. 13.	139
Steppat, Das Jahr 1933, p. 276.	140
Steppat, Nassers Revolution, opp. cit., pp. 165-168.	141
Steppat, Gamal Abdannasir, op. cit., pp. 46-47.	142
Steppat, Nassers Revolution, p. 172.	143
Steppat, Abdannasir, p. 33.	144
المرجع السابق ص 33.	145
المرجع السابق ص 33-38.	146
المرجع السابق ص 38.	147
المرجع السابق ص 39.	148
Steppat, Die arabische Welt, p. 192. و المرجع السابق ص 40.	149
Steppat, Abdannasir, pp. 40-42.	150
Steppat, Geschichte des Palästina-Problems, p. 9, 12-13.	151
المرجع السابق ص 13.	152
المرجع السابق ص 13.	153
Fritz Steppat, „Internationale Politik am Mittelmeer“. Sonderdruck aus “Die InternationalePolitik 1966-1967” , ed. Karl Carstens u.a., München/Wien 1973.	154

- 155 هنري لورنس، اللعبة الكبرى، ترجمة محمد مخلوف، نيقوسيا 1992، ص 207.
- 156 Steppat, Internationale Politik am Mittelmeer, op. cit., pp. 207-209, 213.
- 157 المرجع السابق ص 215.
- 158 المرجع السابق ص 251-250.
- 159 المرجع السابق ص 217-214.
- 160 المرجع السابق ص 224، 245-246.
- 161 المرجع السابق ص 251.
- 162 وهي التي عُقدت في رودس ووقعت في 24 شباط 1949، أنظر لورنس، مرجع سابق ص 99-101.
- 163 Steppat, Internationale Politik, op. cit., pp. 229, 231, 250.
- 164 المرجع السابق ص 250. وقارن بـ لورنس، مرجع سابق ص 80-83.
- 165 Steppat, Internationale Politik, p. 250.
- 166 المرجع السابق ص 251-252، 253.
- 167 المرجع السابق ص 250.
- 168 المرجع السابق ص 256-255.
- 169 المرجع السابق ص 223 و 252.
- 170 المرجع السابق ص 247-248.
- 171 المرجع السابق ص 260.
- 172 المرجع السابق ص 241 وما يليها.
- 173 Fritz Steppat, "Der Mittelostkonflikt nach dem Krieg von 1967". Sonderdruck aus "**Die Internationale Politik 1968-1969**", ed. Karl Kaiser u.a., München/Wien 1974.
- 174 المرجع السابق ص 235 و 241.
- 175 المرجع السابق ص 236 و 242.
- 176 المرجع السابق ص 236-237 و 240.
- 177 المرجع السابق ص 239 و 253.
- 178 المرجع السابق ص 261.
- 179 المرجع السابق، ص 243-244.
- 180 المرجع السابق ص 245.
- 181 المرجع السابق ص 245.